مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين وأفضل الخلق أجمعين ، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين ، وعلى ذُرّيته المكرَّمين إلى يوم الدين .

أما بعد :

فبعد أن طبعتُ كتابيّ (تكفير أهل الشهادتين) و(مفهوم شرك العبادة) ورَدَدْتُ فيهما على الغُلاة في التكفير ، وحقّق الكتابان (بحمد الله تعالى) من التأثير الكبير ما كنت أرجوه وزيادة ، وتُرجما بأكثر من لغة ، وتداولتهما الأوساطُ العلميةُ بالمناقشة والإفادة : أحببتُ إعدادَ نشرةٍ جديدةٍ من الكتاب ، أضم فيها الكتابين في كتابٍ واحد ، ليكون موضوعُ الكتاب شاملًا لتفنيد دعاوى التكفير المعاصرة ، خاصةً أن للتكفير بِشِرْكِ العبادة علاقةً بالتقعيد المذكور في كتابي الأول : (تكفير أهل الشهادتين)، مِن تَرْكِ تكفير أهل الشهادتين مع ورود الاحتمال المانع من التكفير ؛ لأنه «مَن دَخَلَ الإسلامَ بيقين : لم يُخرج منه إلا بيقين»، وأن مَن نَطَقَ بالشهادتين وَجَبَ القطع بإسلامه حَسَبَ ظاهرِه ، ونَـكِلُ باطنَه إلى الله تعالى .

ولذلك ضممتُ الكتابين إلى بعضهما ، مع إضافاتٍ كثيرة عليهما ، وزيادةِ استدلالٍ ونقاشٍ أُبيِّن فيه تَهاوي شُبهِ المخالفين ، وأنهم عاجزون عن الردّ العلمي .

فرغم مرور ما يقارب عشر سنوات على الطبعة الأولى من (تكفير أهل الشهادتين)، وأكثر من سنتين على (مفهوم شرك العبادة)، وما أثاره الكتابان من جدل في المواقع ، ورغم صدور بعض الكتابات التي تزعم الردَّ عليهما أو على بعض ما فيهما ؛ إلا أن أيَّ مطلعٍ منصفٍ لديه استقلاليةُ النظرِ المحايدِ سيعلم أن تلك الكتابات لا تُعَدّ شيئًا ؛

لأنها مليئةٌ بوَرْطاتِ المغالطات والتناقضات ، مما جعلني لا ألتفتُ إليها ؛ إلا لِمامًا في حاشية هنا أو تعليق سريعٍ هناك ، يكفي في هدم واهن بنائها[1] .

وكلُّ مسلمٍ شَحيحٍ على دينه ، يعلم أن الرجوع عن الباطل إلى الحق هو أول القِيَمِ الإسلامية التي يجب أن تسمو بها نفوسُ المسلمين ، وأن خضوع الاعتراف بالخطأ عند ظهوره هو شرط النفس الزكية التي بِتَعَبُّدِها لله تعالى وحدَه تَحرّرَتْ من العُبوديّات كلها ، وأول العُبوديّات التي يَتحرَّرُ منها المسلمُ بعبوديته لله تعالى هو التَّحرُّرُ من عبوديته لحظوظ نفسه وأهوائها .

ألا فليتقِ الله مسلمٌ رضي بدين الإسلام دينًا ، وأَشْهَدَ على نفسه بالخضوع لأحكام هذا الدين : أن ينقصَ رضاه بهذا الدين بالتعصّب لغيره ، وأن تشمخ نفسُه على الخضوع لأحكامه تقليدًا وحميةً جاهلية .

وإني لأعلم أن بعض الرجوع عن الخطأ صعبٌ على النفس جدًّا ، وقد يجرّ على صاحبه أذًى كبيرًا ، لكن من أراد الله والدار الآخرة ، ووثق بالنصر من الله تعالى للحق (لا له)، لم يتردّد في التبرِّي من الخطأ ، وفي إعلانِه هذا التبرُّؤَ بأعلى صوته ، راجيًا أن يعفو الله عنه ما كان قد جرّه على الإسلام وأهله من ويلات ما كان ينشره من باطل ، خاصة في مسألةٍ شنيعةِ الأثر على المسلمين ، وخطيرةِ التصوُّر عن الإسلام ، كمسألة التكفير الباطل ، والتوسّع فيه ، كما هو حاصلٌ مُشاهَدٌ في الوقت الحاضر وفي التاريخ المتأخر المعلوم من واقع المسلمين !

فيا عبدَ الله ! إن أَقْبَلْتَ على هذا الكتاب بالقراءة بقلبٍ طاهرٍ مفتوحٍ لقبول الحق إذا تبيّن لك : فأَقبِلْ عليه مطمئنًّا ، فإنه سيكون - بإذن الله - دليلَك إلى الحق . وأما إذا أقبلتَ عليه منتفخًا بغرور مدرستك وبتغريرِ شيوخك ، تريد أن تَـرُدَّ فقط ، باحثًا

(1) ومن ذلك كتابٌ صدر بعنوان (نقضُ كتاب مفهوم شرك العبادة) بتقديم كلٍّ من مفتي عام المملكة العربية السعودية : سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ ، ومعالي الوزير الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، ولولا تقديمهما لما استحق هذا الكتاب أيَّ إشارةٍ إليه ، لشدّةِ وهائه وسُقُوطِه . وقد تَضَمَّنت هذا الطبعةُ من كتابي مع الطبعة الأولى من أدلّةِ انتقاض (النقض) وبراهين سقوطه ما يكفي بحمد لله تعالى ، لمن عرف العلمَ والاستدلالَ . مع أن ذلك الكتاب من نمطٍ شاذٍّ : وهو النمط الذي ينتقض بنفسه !

عما تظنه خطأً لتعترض به على صوابٍ لم تَعْرِفْ كيف تَرُدّه : فلن تَعْرِفَ بهذا المسلكِ الغَوِيِّ معروفًا ، ولن تُنكرَ به منكرًا ، كالكُوز مُـجَـخِّيًا[1].

إن نَمَطَ الباحثِ الذي يكتفي من بحثه بما يظنه استشكالًا ، دون أن يكون عنده جوابٌ على الإشكال : هو نمط أهل التشغيب . ولذلك كلما أجبتَه على إشكاله جوابًا مُحكمًا لم يفرح بالجواب ، بل ضاق به ذرعًا ، وصار يحاول جاهدًا أن يدّعي وجودَ إشكالٍ على الجواب ، مع علمه أن التقرير الذي كان يتبنّاه هو قد بُيِّنَ له خواؤه : ففسد ، وأُسقط ببراهين الحق (لا بإشكالات المتعنّتين) : فَهَوَىٰ ، فهو لا يريد باستشكالاته استبانةَ الحقِّ من الباطل ، وإنما يريد بها ردَّ الحق بدعوى وُرودِ الإشكال . هذا النمط ممن لا يبحثون عن الأدلة والبراهين ، وإنما يبحثون عن دواعي التقليد ورغائب الهوى ، في زُورٍ من صورة البحث عن الدليل : هو نمط أهل العَنت والزيغ ، ممن استولى عليهم الجهلُ والهوى . فسَلَفُهم هو صَبيغُ بن عِسْل التميمي ، الذي لم يكن محتاجًا إلى عِلْمٍ ، وإنما كان مُحتاجًا إلى تأديبه من داء حُبّ الظهور والغرور ، ولذلك كانت دِرَّةُ الفاروق عمر ﷺ هي شفاءَه الرَّجِيّ من دائه الدَّوِيّ .

فلندعُ جميعًا مخلصين لله تعالى : اللهمّ رَبَّ جَبرائيلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ ، فاطرَ السماواتِ والأرض ، عالمَ الغيبِ والشهادة ، أنت تحكم بين عبادِك فيما كانوا فيه يختلفون : اهْدِني لما اخْتُلِفَ فيه من الحقِّ بإذنك ، إنك تَهدي مَن تشاءُ إلى صراطٍ مستقيم .

(1) أي : كالكوز المنكوس ، لا يعي شيئًا .